



+ آباؤنا القديسون

القديس البار بولس الثبي

تعيّد كنيستنا في اليوم الخامس عشر من كانون الثاني لأبينا البار بولس الثبي أول التّسك المتوحّدين في التاريخ المسيحيّ. ولد القديس بولس سنة ٢٢٨ في مدينة ثيبة في مصر من أبوين غنّيين، تقيّين وصالحين، غرسا في قلبه بذور الفضائل المسيحيّة مع العلوم العصريّة التي نبغ فيها. ورث عن والديه ثروة طائلة بعد أن فقدهما وهو في ريعان شبابه فترك كلّ شيء لشقيقته لأن نفسه كانت تصبو إلى الكنوز الروحيّة والسّماويّة، وذهب إلى البراري قاصداً الخلوة والوحدة والسكينة مع الله. هناك وجد كهفاً قضى فيه معظم حياته مصلياً وساجداً للرّب، مناجياً ومستعظفاً إيّاه لأجل خلاص جميع البشر. لما بلغ الثالثة والخمسين من عمره، وقد كملته التّعمة الإلهيّة بالفضائل، أكرمه الله بأعجوبة أخذت تتكرّر كلّ يوم: غراب يأتي إليه مساء كلّ يوم حاملاً له نصف رغيف لغذائه. ولقد بقي الغراب مثابراً على مهمّته هذه حتّى نهاية عمر بولس الذي فاق المئة سنة.

وإذ لم يشأ الله أن تبقى سيرة هذا القديس الفاضل مجهولة، ألهم ناسكاً آخر متوحّداً هو القديس أنطونيوس الكبير أن يقوم مفتشاً في الصّحاري والقفار المصريّة عن متوحّد قد سبقه إلى حياة الكمال الانجيلي وفاقه إشراقاً روحياً وقداً... فأخذ أنطونيوس يجول في البراري الممتدّة بين نهر النيل والبحر الأحمر حتّى وصل إلى منعطف من الجبال الصّخريّة حيث وجد الكهف الذي كان يقيم فيه بولس. وهكذا تقابل الشّيخان وتعانقا بفرح وشكر وتمجيد للرّب القدّوس. وفيما هما يتحدّثان أقبل الغراب كعادته مساء وفي فمه هذه المرّة رغيف كامل، فسجدا كلاهما للرّب وقضيا اللّيل كلّهُ يتلوان المزامير ويسبّحان. في اليوم التّالي طلب بولس من أنطونيوس أن يذهب ويأتي إليه بالرداء الذي وهبه إيّاه البطريرك القديس أنناسيوس ليغطّيه به بعد رقادته. وهذا ما حصل، وبعد عودته وجد أنطونيوس التّاسك بولس راکعاً ورافعاً رأسه ويديه نحو السّماء دون حراك، فحزن عليه كثيراً ولفّه بثوب القديس أنناسيوس وصلّى عليه ودفنه في حفرة كان قد حفرها أسدان بمخالبهما. الفكرة الجوهرية التي نستخلصها من حياة هذا التّاسك المتوحّد القديس كما من حياة سائر التّسك والرهبان القديسين على مرّ الأجيال هي، بالإضافة إلى التماسه الكمال الانجيلي عملاً بوصيّة الرّب يسوع المسيح بلوغاً إلى الكمال الانسانيّ صلّاته الحارّة الدائمة "صلّوا بلا انقطاع" لأجل خلاص جميع البشر أي لأجل دخولهم في فرح الرّب وسلامه وملكوته ابتداءً من حياتهم الأرضيّة.